أهمية القرآن الكريم والمنهج النبوي في تزكية الأنفس وتربية الأرواح

حكيم *إبراهيم عبد الجبار*[1]

ملخص البحث

إن تزكية النفس أمر تحتاجه البشرية حتى تنجو من الهلاك في الدنيا وتفوز في الآخرة؛ ومن أجل هذا ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابه على تزكية أرواحهم وبناء شخصياتهم. وأرشدهم إل ى الطريق الصحيح ليساعدهم على تحقيق ذلك بحثهم على التدبر في القرآن الكريم وفي كون الله ومخلوقاته، حتي يشعروا بعظمة الخالق وحكمته سبحانه وتعالى فتزكو نفوسهم، وتسمو أرواحهم ،وكذلك حثهم على التأمل في علم الله الشامل وإحاطته الكاملة بكل ما في الكون، لأن ذلك يملأ الروح والقلب بعظمة الله، ويطهر النفس من الشكوك والأمراض. كما أرشدهم إلى سبل الإخلاص في عبادة الله عز وجل، وذلك لأنه من أعظم الوسائل لتربية الروح وتزكية النفس.

واستهدف هذا البحث إلى بيان أهمية القرآن الكريم والسنة النبوية ودورهما في تزكية النفوس من الآثام وتربية الأرواح على الطاعة والبر والتقوى.

وأظهرت النتائج أهمية القرآن الكريم والسنة النبوية في معالجة النفوس وتزكيتها من الأمرض الفتاكة، وتربيتها على القيم النبيلة، وأن التزكية والتربية والتعليم مسؤولية الأنبياء والرسل. وأن محل التزكية هو القلب وهو سبب الرقي بها أو انحطاطها وهلاكها.

كلمات مفتاحية : تزكية النفس ، تربية الارواح ، السنة النبوية ، التربية

[1] *محاضر بجامعة السلطان أزلن شاه الإسلامية، بيراك، ماليزيا.*

The Importance of Holy Quran and the Prophet's Platform in Recommendation and Education of the Souls

Hakim Ebrahim Abdul Jabbar[1]

Abstract

Humans need soul recommendation to avoid the perdition in this world and hereafter; for this the prophet Mohammad (PBUH) educated his companions to recommend their souls and build their personalities. He guided them to the right path and urged them to reflect on the Quran and in Allah's universe and his creatures, to feel the greatness of the Creator and His wisdom, leading to their spiritual purification and soul transcendence. Prophet Mohammad (PBUH) also encouraged his companions to meditate on Allah's comprehensive science and His full knowledge of everything in the universe. All these fill the soul and heart with the greatness of Allah and cleanse them from doubts and diseases. He guided them to the ways of sincerity in the devotion of Almighty Allah because it is one of the greatest means for spiritual elevation soul recommendation.

This research aimed to show the importance of the Holy Quran and Sunnah and their role in recommending the souls of misdeeds, raising the souls on obedience, righteousness and piety.

The results showed the importance of the Holy Quran and the Prophet's approach in the treatment of souls from lethal disease, thereby raising it on the noble values. Soul recommendation, moral upbringing and education are the responsibilities of the prophets and messengers. The place of the soul recommendation is in the heart, the cause spiritual upgradation or degradation.

Keywords: Soul Recommendation, Spiritual Upbringing, Prophetic Methods, Education

[1] *Ph.D.,Lecturere, Sultan Azlan Shah University Malaysia*

المقدمة

الحمد الله الذي أكرمنا بالإسلام ومنَّ علينا أن بعث فينا سيد الأنام؛ مزكياً ومعلماً ومربياً. قال عز من قائل: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ}سورة الجمعة [آية 2]. فمن مهمة الرسل التزكية والتربية والتعليم. ولاشك أن التزكية من أهم المور وأقدسها عند الله، والفلاح مرتبط بالتزكية قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} سورة الأعلى [آية 14]. وقال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها، وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها} سورة الشمس]آية 9 –10]. ولايمكن للإنسان أن يتزكا إلا عن طريق الوحي الإلهي المتمثل في القرآن الكريم والسنة المطهرة. ومن السعادة أن يعود الإنسان إلى ربه ويتعلم من منهجه ويعتصم بسنة نبية ويسلك الطريق الصحيح حتى ينجو من المخاطر والآفات المهلكة في هذه الحياة الدنيا، وما يعتري الإنسان في هذا الزمن من الفتن، وكثرة الأمراض النفسية ماهو إلا نتيجة للبعد عن كتاب الله وسنة نبيه. وقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أهمية التزكية ففي «المعجم الصغير للطبراني» عن عبد الله بن معاوية الغاضِري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ثَلاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ ذَاقَ طعْمَ الإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ فِي كُلِّ عَامٍ... وَزَكَّى نَفْسَهُ"، فقال رجل: وما تزكية النفس؟ فقال: "أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ" [انظر: الطبراني، الروض الداني المعجم الصغير،334/3]. وفي هذا البحث نعرض بعض الفوائد النفيسة في مجال التزكية والتربية والتعليم عن طريق القرآن الكريم والسنة المطهرة وما بهما من المصالح للبشرية غفل عنها أو تغافل عنها كثير من الناس والله المستعان وعليه التكلان.

المبحث الأول

المطلب الأول: أهمية البحث

وتكمن أهمية موضوع القرآن الكريم والمنهاج النبوي في تزكية الأنفس وتربية الأرواح في مايأتي:

اولا: أن القرآن الكريم والمنهاج النبوي يعالجان خفايا في حياة الإنسان ليس بوسع البشرية والعالم أجمع أن تقوم بهذا الدور مهما بلغت من تقدم.

ثانيا: للقرآن الكريم والسنة النبوية دور أساسي في الرقي بالنفس البشرية وتطهيرها من دنس المعاصي والذنوب، وقد غفل عنه كثير من المسلمين وهو بين أيديهم.

ثالثا: أهمية التزكية والتربية والتعليم للإنسان المسلم حتى يتميز عن غيره من المخلوقات الأخرى.

رابعا: خطورة الأمراض النفسية والعصبية المنتشرة في العصر الحالي، بداية من الاكتئاب إلى النوبات والغضب والتشنج في كافة أنحاء العالم بصورة تبعث على القلق، وأن معظم هذه الأمراض وصلت إلى حالة سيئة يصعب علاجها إلا عن طريق القرآن الكريم والمنهاج النبوي.

خامسا: القرآن الكريم والمنهج النبوي هما الطريق الأمثل لتحقيق الأمن والاستقرار الذي ينشده العالم وتبحث عنه البشرية.

سادسا: التزكية والتربية والتعليم وظيفة الأنبياء والرسل، ثم من بعدهم العلماء الأتقياء .

المطلب الثاني: أهداف البحث .

إن الغاية والهدف من كتابة بحث أهمية القرآن الكريم والمنهاج النبوي في تزكية الأنفس مايأتي :

أولا: الإسهام في نشر الوعي بين أوساط المسلمين بأهمية القرآن الكريم والمنهاج النبوي الذي كان لهما الفضل في بناء مجتمع مثالي للإنسانية والبشرية جمعاء في جميع المجالات العلمية والتربوية والروحية والأخلاقية والسياسية والعسكرية.

ثانيا: الإسهام في اكتشاف ما يتمتع به القرآن الكريم والمنهاج النبوي من خصوصية فائقة في إصلاح المجتمعات المنحرفة خلقياً والمتخلفة علمياً وإخراجها إلى بر الأمان.

ثالثا: تذكير المسلمين بأهمية الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ودعوتهم إلى الالتزام بسنته وشرعه قولاً وعملاً.

رابعا: توحيد الجهود العلمية والفكرية لإنقاذ أمتنا الإسلامية مما يحاط بها من مؤامرات محلية وعالمية لإبعادها عن دينها وثقافتها.

خامسا: إظهار أهمية دور القرآن الكريم ومنزلته في نظرية المنهاج النبوي، تربية وفكراً وسياسية.

المبحث الثاني

أهمية التزكية والتعليم في القرآن الكريم والمنهاج النبوي

المطلب الأول: مفهوم التزكية في القرآن الكريم

التزكية في اللغة ترجع إلى معنيين النماء والتطهير(انظر: الزَّبيدي، تاج العروس: 223/38).

قال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} سورة التوبة [آية 103] أي تنمي أموالهم]انظر: البغوي ، معالم التنزيل في تفسيرالقرآن 384/2[وقوله تعالى: {وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى} سورة عبس [آية 3] أي : يحصل له زكاة وطهارة في نفسه (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 319/8).

والتزكية في اصطلاح القرآن هي: التطهير والنماء ببركة الله تعالى وفضله [انظر: الطبري ،جامع البيان في تأويل، القرآن، 135/19]. والآيات الواردة في الزكاة والتزكية تشير إلى أن التزكية هي فضل من الله تعالى على من يشاء {وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} سورة النور [آية 21].

المطلب الثاني: التزكية والتعليم

لا شك أن التزكية والتربية كانت الهدف الأسمى لأنبياء الله تعالى ورسله الذين بعثهم إلى البشرية ليضيئوا لهم طريق الرقيّ والتقدّم بالتزكية والتعليم والتربية، ويساعدوهم على تجاوز العقبات والعراقيل ليبلغوا بهم إلى الكمال الذي أراده الله لهم. وقد قام أنبياء الله ورسله الكرام بكلّ ما في

مقدورهم ووسعهم بهداية البشريّة على مدار الزمن، وحقّقوا من النجاحات والنتائج العظيمة ما غيّر وجه التاريخ البشريّ. ولقد كان هذا الدور منطقيّاً وطبيعيّاً، فالبشريّة بحكم ما يتنازعها من أهواء ومطامع، ويكتنفها من جهل بالحقّ والعدل لا يمكنها بنفسها أن تشقّ طريقها نحو التكامل المنشود فكم من مرّة ابتعدت البشريّة عن العناية الربانيّة والهدايّة الإلهيّة، فسقطت في الحضيض، ونزلت إلى مستوى الطبيعة البهيميّة وعادت كالأنعام بل أضل, قال تعالى: {إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً} سورة الفرقان [آية 44]. ولقد كان إيصال هذه الهداية الإلهيّة الضروريّة إلى البشر غير ميسور إلاّ عن طريق إرسال الرسل وبعث الأنبياء الأصفياء [انظر: عبد السلام ياسين, الإحسان, 90/1].

المطلب الثالث: عوامل التزكية

وتزكية النفوس أصعب من علاج الأبدان وأشد، فمن زكى نفسه بالرياضة والمجاهدة والخلوة، التي لم يجئ بها الرسل، فهو كالمريض الذي يعالج نفسه برأيه، وأين يقع رأيه من معرفة الطبيب؟ فالرسل أطباء القلوب، فلا سبيل إلى تزكيتها وصلاحها إلا من طريقهم، وعلى أيديهم، وبمحض الانقياد، والتسليم لهم، والله المستعان (انظر: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين, 315/2). فهناك عوامل مهمة في التزكية: لا يتحقق للإنسان تزكية نفسه وتطهيرها من دنس المعاصي ولآثام، حتى يسلك طريق الأنبياء والرسل وأهل الصلاح والتقوى، مستعيناً ببعض الأعمال المعينة والموصلة إلى ذلك. وهذه الأعمال هي عوامل مهمة لابد منها؛ بل هى شروط من شروط التزكية.

اولا: الاعتصام بالكتاب والسنة: أن يتمسك المسلم ويعتصم بالكتاب والسُنة، فمدار السعادة في الدنيا والآخرة عليهما. قال الله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} سورة آل عمران [آية 103].

ثانيا: الإيمان بالقضاء والقدر: يقول الله عزَّ وجلَّ {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } سورة الحج [آية 70]. والإيمان بالقضاء و القدر لا يتم على وجهه الأكمل، إلا إذا حقق الإنسان الإيمان بالخمسة أمور التي قبلها: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ثمَّ الإيمان بالقدر خيره وشره. ومن يرضى بقضاء الله يعيش في جو هادئ مما يدخله في جنة الرضا. وأخطر ما يُهدد إيمان العبد هو التسخُّط على قدر الله لأنه لم يرضَ بشرع الله حينها، مما يوقعه في الذنوب. عن أبي حفصة قال: (قال عبادة بن الصامت لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله يقول "إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال رب وماذا اكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة"، يا بني إني سمعت رسول الله يقول "من مات على غير هذا فليس مني")]أبو داود، سنن أبو داود، 86/8[. كما أن من ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر: سلامة الصدر من الحقد والحسد، وغرس نوع من الشجاعة، في القلب، والتخفيف

من الجزع عند المصيبة، ودفع المرء لبذل الجهد في العمل وطرد اليأس عنه.

ثالثا: الإيمان باليوم الآخر: فمن آفات النفوس أنها ملول تميل إلى إتباع الهوى، مما يجعلها تعيش حياة الفوضى والعبثية .. ويخاطب الله عزَّ وجلَّ هؤلاء العبثيين، فيقول تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} سورة المؤمنون [آية 115]. فذكَّرهم الله تعالى باليوم الآخر. فمن أعظم ما يزجر النفس عن المعاصي هو استحضار مشاهد الآخرة بداية من الموت وعذاب القبر ثمَّ الحساب والمآل إما إلى الجنة أو النار. فتذكُّر الموت يُفيق العبد من غفلته وانغماسه في شهوات الدنيا .لذا عندما تجد نفسك غارقًا في الغفلة عليك أن تستمع إلى المواعظ، وتقوم بزيارة قبر أو تغسيل ميت كي يتحرَّك قلبك ويحجزك عن المعاصي مما يقوى الوازع الديني في قلبك ويبعثك على المسارعة في الطاعة والعمل الصالح. وكل شيء يهون حينها في سبيل الله. كما أن للعبادات دوراً كبيراً في تزكية النفس وسموها وتطهيرها مما قد يشوبها [انظر: عبدالسلام ياسين، الإحسان، ص53]:

وأهم هذه العبادات في تزكية النفس:

1- الصلاة: عن طريق تحقيق ثمرتها في الخشوع والخضوع.

2- الزكاة: فهي تُطهِّر النفس من آفة الشح، وتُجسِّد معنى من معاني شكر النعمة.

3- الصيام: لتقوية الإرادة والصبر، وفيه مجاهدة للنفس.

4- الحج: فهو تدريب عملي على الامتثال لأوامر الله عزَّ وجلَّ، وجهاد للنفس وتدريبها على تحمُّل المشاق.

5- النوافل: سواءً كانت نوافل الصلاة والصيام والصدقات وتلاوة القرآن والعمرة وغيرها، فالإكثار من هذه الأعمال يقوِّيك ويجعلك في معيَّة الله عزَّ وجلَّ. يقول تعالى في الحديث القدسي". وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه [البخاري، صحيح البخاري، 105/8].

6- المحاسبة والتوبة: فقد أقسم الله عزَّ وجلَّ بالنفس اللوَّامة، في قوله تعالى: {وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} سورة القيامة [آية 2]. وهذا من خلال المحاسبة والمشارطة والمراقبة والمعاقبة والمعاتبة للنفس .ذكر الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية "]انظر: ابن كثير، مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب وأقواله على أبواب العلم, 2 /618[. وقال الحسن "إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همته [انظر: صالح بن عبد الله، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم, 3322/8]

ومن الأمور التي تُعين على محاسبة النفس:

(أ) استشعار أن الله يراك وتذكُّر الحساب يوم القيامة.

(ب) مطالعة سير الصحابة والسلف الصالح.

فينبغي أن تحاسب نفسك على المعاصي الظاهرة والباطنة، والنيات، وتفويت الطاعات، والنِعَم. ويُستحب أن يكون ذلك قبل النوم، لكي تُحاسب نفسك على أعمال اليوم والليلة فتعلم إن كنت رابحًا أم خاسرًا. وتتحقق التوبة من خلال الندم والإقلاع عن الذنب والعزم على عدم العودة إليه في المستقبل. والصحبة الصالحة من أهم ما يُعينك في تزكية نفسك. هذه بعض الأسس التي تقوم عليها التزكية. ومنها سنشرع إن شاء الله تعالى في استخلاص العلاج لكل آفة من الآفات المُهلكة للنفس، التي لا يمكن علاجها إلا بالتطبيق العملي. اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

المطلب الرابع: اهتمام القرآن الكريم بالتزكية والتعليم

ويظهر اهتمام القرآن الكريم بالتزكية والتعليم من خلال ورود آيات عديدة في سور مختلفة تحث على التزكية والتعليم وتشير إلى أهميتهما، وعلى سبيل الإشارة إلى ذلك قوله تعالى:

1- {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ} سورة البقرة [آية 128-129].

2- {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ} سورة البقرة [آية 151].

3- {لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ} سورة آل عمران [آية 164].

4- {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} سورة الجمعة [آية2]. في الآية الأولى دعا إبراهيم عليه السلام ربه سبحانه: أن يجعل من ذريته "أمة مسلمة" وأن يبعث في هذه الأمة "رسولاً منهم" ليحقق لهم أربعة مقاصد، هي: يتلو عليهم آيات الله، ويعلمهم الكتاب، ويعلمهم الحكمة، ويزكيهم. وفي الآيات الثلاث الأخرى بيان فضل الله وتفضله بالاستجابة لدعاء نبي الله إبراهيم بمجيء الأمة المسلمة وبعث نبيّها محمداً صلّى الله عليه وسلّم ليزكيهم ويعلمهم. ونكتفي هنا بتسجيل ملحوظتين، الملحوظة الأولى أن التزكية قد وردت في دعاء إبراهيم عليه السلام في الموقع الرابع من المقاصد، لكن التزكية في الآيات الثلاث الأخرى قد وقعت في الترتيب الثاني بعد تلاوة الآيات. والملحوظة الثانية أن التزكية كانت في حق الأمة المسلمة التي كانت دعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام، وفي الأمة التي يخاطبها الله سبحانه: كما أرسلنا فيكم، وفي أمة المؤمنين، وأمة الأميين. فلم يكن مقصد التزكية إذاً، ولا أيٌ من المقاصد الثلاثة الأخرى، يتعلق بالفرد وتربية نفسه، وبناء

شخصيته، وترقية وجدانه [انظر :عبدالسلام ياسين، الإحسان، ص39]. ومما يلفت النظر أن أطول قسم في القرآن الكريم يتعلق بتزكية النفس: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا. وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا. وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا. وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا. وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا. وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا. وَنَفْسٍ وَمَاسَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا. كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا} سورة الشمس [آية 1–11]. ونلاحظ أن الله سبحانه أقسم بالعديد من مخلوقاته من الأشياء والأحداث والظواهر، وأقسم بنفسه على شيء عظيم، يتضمنه جواب القسم. وجواب القسم في هذا السياق هو قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا.{ هكذا يفلح ويفوز وينجح في بغيته من تحقق بالتزكية: وهي البعد عما يغضب الله من الآثام، والإكثار مما يقرب من الله من الأعمال الصالحة، وبذلك ترتفع قيمة النفس. وفي المقابل يخسر ويخيب من تحقق بالتدسية: أي الخصائص التي تحول بين صاحبها وبين فعل الصالحات، وحرمانها من الترقي والزيادة في الخير، والسمو بالنفس [انظر: ابن القيم الجوزية، الفوائد، 177/1].

المطلب الخامس: عدد ألفاظ التزكية في القرآن الكريم

وأما عدد ألفاظ التزكية في القرآن الكريم فقد ورد ألفاظ زَكَو وهو الأصل الثلاثي من لفظ التزكية تسعاً وخمسين مرة، منها: زكى، وزكَّى، ويزكى، وأزكى، وزكياً، وزكاة، وأزكى الخ...، ومنها اثنتين وثلاثين مرة بلفظ الزكاة، أي زكاة المال على وجه التحديد بمعنى التطهير والبركة والنمو، وأربع مرات بمعنى المدح والثناء، وأربع مرات بوصف التزكية واحداً من مقاصد الوحي الأربعة، وبقية الآيات تتحدث عن مجالات مختلفة من التزكية بمعاني: التطهير والترقية والتنمية والزيادة في الحسن والنفع]عبد الحميد أبو سليمان، الدكتور فتحي ملكاوي، جمال قطب، محاضرة عن"مفهوم التزكية في القرآن"، 2008م/19/11). والتزكية تتعلق بالقلب وبالنفس والروح، وكان القلب هو المسؤول عن هذه الأعضاء كالملك المتصرف في الجنود، الذى تصدر كلها عن أمره، ويستعملها فيما شاء فكلها تحت عبوديته وقهره، وتكتسب منه الاستقامة والزيغ، وتتبعه فيما يعقده من العزم، أو يحله قال النبى – صلى الله عليه وسلم : " ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسدُ كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب]مسلم، صحيح مسلم, 219/31[. فقسم العلماء القلوب إلى ثلاثة أقسام:

1– قلب ميت :

وهو القلب الذي لاحياة فيه ولا منفعة ترجى منه، ولا موعظة تنفعه ولا تذكرة تحييه، فهو لايعرف ربه، ولا يعبده بأمره، بل هو واقف مع شهواته، ولذاته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فهو لايبالي إذا فاز بشهوته وحظه رضى ربه أم سخط، فهو متعبد لغير الله، إن أحب أحب لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، وإن منع منع لهواه، فهواه آثر عنده، وأحب إليه من رضا مولاه، فالهوى إمامه والشهوة قائده، والجهل ُسائقه، والغفلةُ مركبهُ. فيكون سبب في هلاك صاحبه يوم القيامة.

2- قلب معلول:

وهو القلب السقيم الضعيف فيه حياة وفيه علة يستسلم للشهوات، ويستجيب للشيطان تارة ويمانع تارة أخرى. الوساوس يرتاده والرياء يصاحبه والكبر والحسد سبب هلاكه، ممتحن من داعيين: داع يدعوه إلى الله ورسوله والدار الآخرة، وداع يدعوه إلى العاجلة، وهو إنما يجيب أقربهما منه باباً، وأدناهما إليه جواراً.

3- قلب سليم :

وهو القلب الصحيح الخالي من الأمراض المتعافي من الأسقام، المنتصر على هواه المتغلب على الشيطان لا تهزه الشبهات، ولايؤثر فيه هل الباطل. رضى الله مقصده وسنة نبيه غايته إذا غضب غضب لله، وإن أحب أحب في الله، وإذا أعطى أعطى لله، وإن منع منع لله. وصاحب هذا القلب هو الناجي يوم القيامة]انظر: أحمد فريد، تزكية النفوس، 19/1، 20. [الفائز برضا ربه. قال تعالى: {يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} سورة الشعراء [الآية 88 – 89].

فالقلب الأول: يابس، ميت، لاخير فيه ولامنفعة ترجى منه.

والثانى: مريض، فإما إلى السلامة برحمة ربه، وإما إلى العطب بعدله.

والثالث: حيّ فاز برضا ربه مستبشر بمنه وفضله [الدكتور محمد راتب النابلسي, موسوعة النابلسي خطبة الجمعة- أنواع القلوب وصفاتها، الخطبة 0778 : خ1].

المطلب السادس: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى والقدوة الحسنة في التزكية

ولاشك أن أزكى الناس وأطهر البشر وأعلم الخلق على الإطلاق هو محمد صلى الله عليه وسلم فاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته واجبة، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَاالَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ} سورة الأنفال [الآية 20] وقال تعالى {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُوَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} سورة الحشر [الآية 7]. والرسول صلى الله عليه وسلم أعلم بشرع الله وحكمته وهو أتقى العباد لله، فلا بد من الاقتداء به صلى الله عليه وسلم واتباعه. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: رَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَمْرٍ فَتَنَزَّهَ عَنْهُ نَاسٌ مِنْ النَّاسِ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَضِبَ حَتَّى بَانَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ (مَابَالُ أَقْوَامٍ يَرْغَبُونَ عَمَّا رُخِّصَ لِي فِيهِ فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَة) [مسلم, صحيح مسلم، 192/4]. قال النووي رحمه الله: (وإنما يكون القرب إليه سبحانه وتعالى, وَالخشية له على حسب ما أمر، لا بمخيلات النفوس، وتكلف أعمال لم يأمر بها [انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 107/15]. وهو القدوة الحسنة صلى الله عليه وسلم في جميع الأقوال والأفعال يجب على كل مسلم ومسلمة الاقتداء والتأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فالاقتداء أساس الاهتداء، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً}

سورة الأحزاب [آية 21]. قال ابن كثير : "هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أُمِرَ الناسُ بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل [انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، 350/6].

أمور مهمة في الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم:

ومن الجوانب المهمة في الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في سيرته وفي إيمانه وعبادته وخلقه وتعامله مع غيره، وفي جميع أحواله، فقد اجتمعت فيه صفات الكمال وإيحاءات التأثير البشري، واقترن فيه القول بالعمل؛ ولا ريب أن الإيحاء العملي أقوى تأثيراً في النفوس من الاقتصار على الإيحاء النظري؛ لهذه العلة أرسل الله تعالى الرسل ليخالطهم الناسُ ويقتدوا بهداهم، وأرسل الله سبحانه الرسولَ صلى الله عليه وسلم ليكون للناس أسوة حسنة يقتدون به، ويتأسون بسيرته، قال المولى عز وجل: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً} الأحزاب [آية 21]. وقد أمرهم صلى الله عليه وسلم– بالتأسي به فقال: "صلوا كما رأيتموني أصلي"، وقال صلى الله عليه وسلم: "لتأخُذُوا مناسِكَكُم" [مسلم، صحيح مسلم، 943/2].

وقال بعضهم في الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم والتأسي به [ابن القيم، الفوائد، 41/1]:

إذا نحن أدلجنا وأنت إمَامُنا
كفى بالمطايا طِيبُ ذِكراكَ حاديا

وإن نحن أضلَلْنَا الطريقَ ولم نجدْ
دليلا كفَانَا نُورُ وَجْهِكَ هَاديا.

ومن الأمور التي يجدر التنبيه عليها أيضا في الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم والتأسي به:

أ– العمل بسنته باطناً وظاهراً: مثل سنن الاعتقاد ومجانبة البدعة وأهلها. والسنن المؤكدة : مثل سنن الأكل واللباس والوتر وركعتي الضحى، وسنن المناسك في الحج والعمرة.

ب– تطبيق السنن المكانية: الذهاب إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والصلاة في مسجده، والصلاة في مسجد قباء، والصلاة في الروضة الشريفة، وهي من رياض الجنة التي ينبغي التنعم فيها والاعتناء بها، قال صلى الله عليه وسلم– : "ما بين بيتي ومنبري: روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي" [انظر: ابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، 65/9]، الإكثار من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما في قوله: (من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا) [مسلم ،صحيح، 1/ 306].

الخاتمة:

وفي ختام البحث أتمنى أن أكون قد وفقت في سردي للعوامل المعينة في تربية النفوس وتزكيتها سرداًلا ملل ولا تقصير، مبيناً أهمية القرآن الكريم والسنة النبوية ودورهما في تزكية

الأنفس وتربية الأرواح وفقني الله وإياكم لما فيه خير للمسلمين.

نتائج البحث

توصل الباحث من خلال البحث إلى عدة نتائج منها :

1- اهتمام القرآن الكريم بالتزكية والتربية والتعليم.

2- التزكية والتربية والتعليم هي مسؤولية الأنبياء والرسل والعلماء من بعدهم.

3- القلب هو ملك الأعضاء وهو المسؤول على تزكية النفس والرقي بها أو انحطاطها وهلاكها.

4- إن مصدر تلقي السلوك والأخلاق عند السلف الصالح هو الكتاب والسنة.

5- أن الحل للمشكلات النفسية والاقتصادية والسياسية هوالقرآن الكريم والمنهاج النبوي.

التوصيات:

ومن التوصيات التي أوصي بها جميع المسلمين المهتمين بدراسة القرآن الكريم والمنهاج النبوي مايأتي:

1- نشر الوعي بين المسلمين بأهمية القرآن الكريم والمنهاج النبوي في معالجة مشاكل البشر اليومية .

2- تأهيل علماء قادرين على القيام بهذا الواجب الدعوي في نشر تعاليم الإسلام ومبادئه السمحاء، وكشف الشبه وتصحيح المفاهيم الخاطئة عند العوام من خلال عقد المؤتمرات والمحاضرات والندوات العلمية .

3- تخصيص مراكز دينية لدراسة القرآن الكريم وما فيه من الإعجاز العلمي والتشريعي واللغوي والبلاغي والنفسي حتى يزداد المسلم معرفة بأهمية القرآن الكريم ومكانته.

4- كما أوصي جميع الباحثين والمختصين بإقامة مركز إسلامية تهتم بمعالجة الأمراض النفسية بالقرآن الكريم والسنة النبوية.

المراجع والمصادر:

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الفوائد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، 1973.

ابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت،الطبعة: الثالثة، 1416 هـ – 1996م.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ – 1988 م، عدد الأجزاء: 18.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم (319/8)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ – 1999م، عدد الأجزاء: 8.

أبو داود، ابن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت عدد الأجزاء: 4.

أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، مسند ابن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، بإشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ – 2001 م.

أحمد فريد، تزكية النفوس، الناشر: دار العقيدة للتراث – الإسكندرية، سنة النشر: 1413 هـ– 1993 م.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي 384) ،المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت،الطبعة : الأولى ، 1420هـ، عدد الأجزاء :5.

الدكتور سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي، الناشر: دار الفكر. دمشق– سورية .الطبعة: الثانية 1408 هـ = 1988 م. عدد الأجزاء: 1.

الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

الشيخ عبد السلام بن محمد بن عبد السلام بن عبد الله بن إبراهيم، الإحسان، الناشر: مطبوعات الأفق، سنة 1998 الطبعة الأولى.

صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم ، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة، عدد الأجزاء : 12.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، الروض الداني (المعجم الصغير)، المحقق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار – بيروت – عمان، الطبعة: الأولى، 1405 – 1985.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000 م، عدد الأجزاء: 2.

عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، معالم في السلوك وتزكية النفوس، الناشر: دار الوطن الطبعة: الأولى 1414هـ عدد الأجزاء: 1.

مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، السنن الكبرى للنسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، 1421 هـ – 2001 م.

النوروزي، محمد جواد النوروزي، أهمية الحرب النفسية وجهة نظر إسلامية، المصدر الموسوعة الإسلامية.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (المتوفى: 676هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة: الثانية، 1392– عدد الأجزاء: 18 (في 9 مجلدات).